المحاضرة السادسة

- المحاضرة السادسة -

النمو المعرفي واللغوي والنفسي والأخلاقي والنظريات المفسرة:

كل ما هو في الوجود متغير ومتطور من النبات إلى الحيوان والإنسان بدوره لا يختلف عن ذلك، فهو يولد طفلا ويصبح شيخا، والسبب الرئيسي للتطرق إلى دراسة النمو هو محاولة فهم الطفل في كل مراحل نموه المختلفة حتى يستطيع المختصين بمفاهيم المعلمين، توجيه المتعلمين حسب مظاهر نموهم ومراحلهم المختلفة.

أولا: مفهوم النمو:

يعرف علماء النفس النمو بأنه تلك السلسلة من التغيرات المترابطة التي تتم في الإنسان بدءا من البويضة المخصبة إلى مرحلة الشيخوخة فالهرم، ويكون عضويا ووظيفيا في آن واحد فهو يتحدد في معنيين:[1]

الأول: هو المعنى الظاهري المتمثل بالتغيرات التي تطرأ على جسم الإنسان من حيث الوزن والطول والحجم.

الثاني: هو المعنى العميق المتمثل بالمتغيرات التي تطرأ على اللغة والنطق وعلى المهارات إضافة إلى تغيرات عقلية وانفعالية واجتماعية وما تحويه من تغيرات فسيولوجية كيميائية.

ويستخلص من ذلك أن النمو عبارة عن سلسلة متتابعة من التغيرات يؤثر السابق منها في اللاحق، يرافقها اختفاء في صفات الإنسان وظهور صفات أخرى وفق دينامية تسعى دائبة إلى متابعة دورة الحياة عند الإنسان.

ثانيا: أهمية دراسة النمو:

إن دراسة النمو تعتبر مهمة في حد ذاتها، وذلك نتيجة لكونها تساعد في فهم الخصائص المميزة للأطفال ومساعدتهم على النمو، كذلك فهي تساعد في فهم مرحلة المراهقة من خلال التعرف على التغيرات التي

---

[1]- انظر مروان أبو حويج وسمير أبو مغلي: مرجع سبق ذكره، ص 109

تحصل في هذه المرحلة، وهي مفيدة في مرحلة الرشد وكذلك مرحلة الشيخوخة لكي نعمل على مساعدتهم من خلال فهم طبيعة المرحلة التي يعيشونها.[2]

فدراسة مراحل النمو وما تتضمنه من تغيرات وتطورات في كل مرحلة من مراحل حياة الإنسان يمكن التوصل إلى العديد من الفوائد المهمة، إذ أنها تساعد الآباء وأولياء الأمور والمهتمين برعاية الطفولة والمعلمين في معرفة احتياجات الأفراد النمائية، وفهم طبيعتهم في كل مرحلة من مراحل النمو.[3]

ثالثا: مبادئ النمو:

تستند عملية النمو إلى مبادئ وقوانين تحدد طبيعة مسيرتها وتقدمها، ومن الممكن إهمال هذه المبادئ:[4]

1-وجود ترابط بين مظاهر النمو، ويتضح ذلك عندما نجد أن النمو العقلي والنمو الانفعالي يتأثران إلى حد كبير بالنمو الاجتماعي أو النمو الجسمي .

2- اختلاف النمو في معدل سرعته مابين مرحلة وأخرى من مراحل العمر.

3- تتصف عملية النمو بأنها متتابعة، فالوقوف عند الطفل يسبق المشي، والجلوس يسبق الوقوف، والمشي يسبق الركض،.....الخ.

4- إن كل جزء من أجزاء الجسم له خط سير نمائي خاص به، فالمنحنى العصبي المتعلق بنمو الجهاز العصبي، والذي يتضمن اتجاه النمو للرأس والأعصاب والحبل الشوكي والعين تتميز بنمو سريع في الطفولة الأولى لايلبثأن يتحول إلى نمو أبطا أثناء الطفولة المبكرة وخلال مرحلة المراهقة.

5- النمو يسير من العام والمجمل إلى الخاص والمتمايز والمفصل .

6- يتميز كل شخص بسرعة خاصة له في النمو.

7- يسير النمو وفق نمط معين حيث يتجه من أعلى إلى أسفل، أي من الرأس إلى القدمين ومن المركز إلىالأطراف

---

[2]- يوسف لازم كماش: النمو الإنساني خصائصه البدنية والحركية الطفولة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ص 15

[3]- الرجع نفسه، ص 15

[4]- مروان أبو حويج وسميرأبو مغلي: مرجع سبق ذكره ، ص 113، - بتصرف -

8-ان جميع الأطفال يمرون عادة بنفس مراحل النمو المختلفة حسب التسلسل الذي تظهر فيه هذه المراحل.

9-يتداخل النمو والتعلم في السلوك بشكل يصعب معه وضع حدود فاصلة بين التغيرات التي تعود للنضج والتغيرات التي تعود للتعلم.

10-ينمو الإنسان نموا داخليا.

11-يسير النمو العام إلى الخاص، فالسلوك يبدأ من النشاط الإجمالي العام إلى الاستجابات الأكثر تركيزا أو أكثر تخصصا.

رابعا: النمو المعرفي:

إن النمو المعرفي أكثر من مجرد إضافة حقائق وأفكار جديدة إلى مخزون موجود من المعلومات -فوفقا لبياجيه- تتغير عمليات تفكيرنا تغيرا جذريا –برغم بطئه- من الميلاد حتى النضج وذلك لأننا نسعى حثيثا وباستمرار لإضفاء معنى على العالم، فكيف نفعل ذلك؟

حدد بياجيه أربعة عوامل هي: النضج البيولوجي والنشاط والخبرات الاجتماعية وصيانة التوازن، وهذه العوامل تتفاعل كي تؤثر في التغيرات وفي التفكير.

وخلال نمونا، نتفاعل أيضا مع الناس من حولنا، ووفقا لبياجيه فان نمونا المعرفي يتأثر بالنفاذ الاجتماعي أو التعليم من الآخرين، وبدون النفاذ الاجتماعي أو التعليم من الآخرين، وبدون النفاذ الاجتماعي سوف نحتاج إلى إعادة اكتشاف جميع المعرفة التي قدمتها بالفعل ثقافتنا، ومقدار ما يمكن أن يتعلمه الناس من النفاذ الاجتماعي يتباين وفقا لمرحلة نموهم المعرفي.

والنضج، والنشاط والنفاذ الاجتماعي تعمل جميعا معا في التأثير في النمو المعرفي.[5]

- عملية النمو المعرفي عند الأطفال كما جاءت بها نظرية فيجو تسكي:

لقد بين فيجو تسكي أن عملية النمو المعرفي عند الأطفال تعتبر ظاهرة شانها شان الظواهر الطبيعية الاجتماعية الأخرى، حيث يؤكد بان عملية النمو عبارة عن وحدة ممتدة عبر فترات زمنية، ويكون لكل وحدة خصائصها المميزة عن الوحدة الأخرى من ناحية النوعية والكمية، بالرغم من أوجه الشبه

---

[5]- انيتا و ولفولك: مرجع سبق ذكره، ص ص 119-120.

المشتركة بين الوحدة والأخرى، كما أكد بان الأطفال يختلفون فيما بينهم في نموهم المعرفي ولكنهم أيضا يشتركون في الوقت نفسه في إطر النمو العام، خاصة إذا تعرضوا لظروف بيئية متماثلة، وللنمو المعرفي عند الأطفال من وجهة نظره جانبان أساسيان:[6]

1- الجانب المادي (الدماغ وتركيبه).

2- الجانب البيئي المكتسب وهو التنشئة الاجتماعية.

- نظرية النمو المعرفي عند جان بياجيه:

تمثلت اهتماماته الأولى في دراسة العمليات الحيوية لدى الكائنات الحية، وكان من اهتماماته الأخرى أيضا دراسة نظريات المعرفة، لقد اهتم بياجيه في محاولة تفسير الطرق والأساليب المعرفية التي من خلالها يدرك أفراد العالم الخارجي، ومعرفة التغيرات التي تحدث على هذه الطرق خلال مراحل نموهم المختلفة، إذ يفترض أن طبيعة العمليات المعرفية التي يستخدمها الأفراد في معالجة الأشياء والتفكير بها تختلف من مرحلة عمرية إلى مرحلة أخرى، فالتغير الذي يحدث فيها ليس كميا فحسب، وإنما هو نوعي أيضا، إذ تتغير هذه العمليات تبعا للتقدم في العمر.[7]

خامسا: النمو اللغوي:

تشكل اللغة عاملا مهما من عوامل النمو المعرفي للطفل لأنها تزوده بالرموز والقوانين، وتساعده في التفكير في حل المشكلات والابتكار، وفي تنظيم سلوكياته، وفي ممارسة ضبط الذات، ومراقبة فعالية هذه السلوكيات، كما وأنها تساعد في ضبط الذات، ومراقبة فعالية هذه السلوكيات، كما وأنها تساعده في الاتصال مع الآخرين من اجل تحقيق رغباته وإشباع حاجاته، ومع نمو وتطور قدراته اللغوية يصبح بمقدوره الاتصال مع الآخرين في المواقف المختلفة.[8]

ومن العوامل التي تذكي النمو اللغوي لدى الأطفال هي تشجيع الكبار، ارتفاع المستوى الثقافي في محيط الأسرة، ارتفاع نسبة الذكاء، فقد لوحظ أن الأطفال ذوي الذكاء العالي أكثر استخداما للمعاني

---

[6]- نبيل عبد الهادي: النمو المعرفي عند الطفل، دار وائل للنشر، الجبديهة، 2002، ص ص 95-96

[7]- عماد عبد الرحيم الزغول: مرجع سبق ذكره، ص 90-91

[8]- أيوب دخل الله: مرجع سبق ذكره، ص 64

المجردة من المعاني العملية، وأنهم يفوقون غيرهم في كثرة استخدامهم الكلمات وأنهم أسرع منهم اكتسابا للجديد من الكلمات.[9]

إن الاستجابة اللغوية كما هو معروف هي ثمرة من ثمرات التعلم، ولذلك فان المدرسة تقوم بدور فعل في تعزيز وتطوير النمو اللغوي عند الأطفال من خلال مساعدتهم على تعلم المفردات وتركيب الجمل ومن الطبيعي إذن أن تنمو حصيلة من المفردات بسرعة نتيجة تعلمه القراءة وتدريبه على المطالعة.[10]

- اللغة عند فيجو تسكي:

تعتبر اللغة عند فيجو تسكي مظهرا من مظاهر تطور التفكير، لهذا اهتمت نظريته بدراسة اللغة على أساس سيكولوجي وتطورها عند الجنس البشري وبالذات في مرحلة الطفولة المبكرة، حيث قام بدراسة هذا الموضوع بتعمق وشمولية وتوصل إلى نتائج تختلف عما توصل إليه الآخرون الذين درسوا اللغة أمثال جان بياجيه.

ومن خلال دراسته للنواحي البيولوجية في الدماغ والمختصة باللغة وتوصل إلى ثلاثة مراكز مخيخية لغوية لدى الأطفال وهي على النحو التالي:[11]

1- المركز الأول: يختص بالكلمات المسموعة ويرتبط ارتباطا وثيقا بجهاز السمع، وهذا المركز له علاقة بتخزين المفردات والمفاهيم التي يسمعها الطفل من بيئة خارجية.

2- المركز الثاني: يختص بنطق الكلمات أو المفردات وهو مرتكز على المركز الأول ويبدأ عمليه في النهاية السنة الأولى ويكون بشكل بدائي.

3- المركز الثالث: يختص بالقراءة ويرتبط هذا المركز بجهاز البصر وهذا يكون الناحية الكلامية، وان المراكز الثلاثة تعمل بشكل متماثل ولا تنفصل عن بعضها.

<u>سادسا: النمو النفسي:</u>

لقد اهتم العديد من المختصين في علم النفس بموضوع النمو النفسي والشخصي لدى الأفراد، وكان من ابرز الذين ساهموا في هذا الاتجاه"فرويد" حيث قدم نظرية في تطور الشخصية تقوم على المراحل

---

[9]- عبد المنعم المليجي وحلمي المليجي: النمو النفسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1971، ص 217

[10]- أيوب دخل الله: مرجع سبق ذكره، ص 64

[11]- نبيل عبد الهادي: مرجع سبق ذكره، ص ص 96-97

سميت بالمراحل السيكوجنسية، ويستند فرويد في نظريته إلى مبدأ اللذة التي يحققها الطفل من خلال مناطق جسمه المختلفة عبر المراحل المتعددة، إذ يرى أن عدم تحقيق الإشباع في هذه المراحل أو إحداها ربما يؤدي إلى نوع من التثبيت، الأمر الذي يسبب خللا في بنية الشخصية لدى الفرد.

ويرى فرويدان النمو النفسي والشخصي للفرد يمر في خمس مراحل هي:[12]

1- المرحلة الفمية (oral):وفيها يحقق الفرد اللذة من خلال الفم متمثلا ذلك في المص والبلع والطعام.

2- المرحلة الشرجية (anal):وفيها يحقق الفرد اللذة من خلال الإخراج.

3- المرحلة القضيبية (phaltic)

4- مرحلة الكمون (latency):وفيها تستقر الاهتمامات الجنسية لدى الفرد ويتوجه نحو تحقيق اللذة من خلال البيئة.

5- المرحلة التناسلية (genital):وفيها تعود الاهتمامات الجنسية لدى الفرد ولكن تكون موجهة للجنس الآخر.

أما اريكسون (erikson) فقد اخذ منحنى مغاير في تفسير النمو النفسي لدى الأفراد بالرغم من تأثره بنظرية فرويد، فهو يرى أن للسياق الاجتماعي الذي ينشا فيه الفرد تأثير جلي في تكوين شخصيته.[13]

اقترح اريكسون وجود ثماني مراحل يمر فيها الفرد خلال عملية نموه النفسي والاجتماعي اسماها بالمراحل النفسية الاجتماعية، حيث يواجه الفرد في كل مرحلة أزمة تنطوي على صراع يتطلب الحل والتوافق معه لكن يستطيع الفرد الانتقال بسلام إلى المرحلة اللاحقة ويرى أن هذه المراحل مترابطة إذ أن تحقيق النمو النفسي السليم في المراحل المتتابعة .[14]

<u>سابعا: النمو الأخلاقي:</u>

ويقصد بكلمة الأخلاق من الناحية السلوكية

---

[12]- عماد عبد الرحيم الزغول: مرجع سبق ذكره، ص 108.

[13]- Erikson.E.H.and Erikson J.M : Generativity and Identity. Havard educational Revieu. 1981. 51. 249 - 260

[14]- Isabella.R and Belsky. J : International synchrony and the origint – mother attachement :Apreplication study. Child devlopment. 1991. P 62.

ن العادات والتقاليد والآداب والمثل المرعية في مجتمع ما، وعلى ذلك فالقيم الخلقية تختلف من مجتمع إلى آخر، كما تختلف في نفس المجتمع من عصر إلى آخر، وتختلف في نفس المجتمع وفي نفس العصر، باختلاف الطبقات الاجتماعية، فالمبادئ التي تصلح للمجتمع الاشتراكي لا تصلح للمجتمع الرأس مالي، كذلك أخلاقيات المجتمع الديمقراطي، تختلف عن أخلاقيات المجتمع الديكتاتوري، وتعرف الأخلاق على أنها تكامل العادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا، بصورة تميل إلى الاستقرار والثبات، وتصلح للتنبؤ بالسلوك المقبل.[15]

إذن فالنمو الخلقي لدى الطفل يسير من مجرد الرغبة في تحقيق اللذة والسعادة إلى التقيد بالمبادئ الخلقية والاجتماعية السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه الطفل، ويتقدم الطفل في العمل وتتحول القوى الرادعة من كونها قوى خارجية أي صادرة من الخارج، من الآباء والأمهات و المدرسين، إلى أن تصبح قوى ذاتية داخلية هي ضمير الطفل، ويتكون هذا الضمير عن طريق امتصاص قيم الآباء واكتسابها، وبذلك تصبح معايير الطفل نفسه.[16]

وتعتبر التربية الأخلاقية عنصرا أساسيا من عناصر وجود المجتمع وبقائه، ومقوما جوهريا من مقومات كيانه وشخصيته، وينظر المعرفيون إلى النمو الأخلاقي على انه جزء من عملي النضج، مثله في ذلك مثل النمو العقلي الذي يحدث ضمن إطار خبرة العمر العامة.[17]

- نظريات النمو الأخلاقي:

حاولت العديد من النظريات أن تلقي الضوء على النمو الأخلاقي والمتغيرات التي تلعب دورا في إحداثه ولعل أبرزها:

<u>- نظرية التحليل النفسي التقليدي:</u> يفترض فرويدا لن الإنسان محكوم بغرائز فطرية لا شعورية في معظمها، وهي تمثل الرغبات الطفولية المكبوتة، والتي نتيجة لاصطدامها مع قيم المجتمع تنحى عن التفكير الشعوري إلى اللاشعور، ويرى أن الطفل يكسب القيم الخلقية في السنوات الخمس الأولى من عمره، ويتم ذلك من خلال تقمص الطفل لسلوك والده من نفس الجنس، بدافع الخوف من فقدان الحب نتيجة لممارسات الضبط والثواب والعقاب من قبل الوالدين، حيث انه إذا ما حصل الطفل على رضى والديه على أفعاله ونال رضاهما، فانه يتكون لديه ما يسمى الأنا المثالي الذي يتمثل في قيم

---

[15]- عبد الرحمان عيسوي: النمو الروحي والخلقي، دار النهضة العربية، بيروت، 1996، ص 144
[16]- المرجع نفسه، ص 145
[17]- عماد عبد الرحيم الزغول: مرجع سبق ذكره، ص ص 100-101

الوالدين والمجتمع، أما عندما يعاقب الوالدان الطفل نتيجة قيامه بسلوك غير مرغوب فان هذا السلوك يطور ما يسمى الضمير وهو يمثل القيم الحاكمة التي تعطي العقاب والشعور بالذنب.[18]

- نظرية بياجيه: ينظر بياجيه إلى النمو الأخلاقي على أساس انه وجه من وجوه النمو المعرفي، وأشار إلى أن النمو الأخلاقي يمكن فهمه وتفسيره عن طريق فهم مراحل النمو المعرفي والذي يحدد بعوامل أساسية منها:[19]

النضج البيولوجي والتفاعل مع البيئة الطبيعية والاجتماعية، ويتمثل أثرها في حالة توازن تشير إلى عملية تقدمية ذات تنظيم ذاتي وتهدف إلى التكيف مع البيئة بواسطة عملية التمثل وعملية التلاؤم.

وقد دارت أعمال بياجيه حول ثلاث قضايا رئيسية في محاولته لفهم النمو الأخلاقي للأطفال وهي: قواعد الألعاب، والأخلاقية الواقعية.

[18]- أسيل أكرم الشوارب ومحمود عبد الله الخوالدة: النمو الخلقي والاجتماعي، دار الحامد للنشر والتوزيع، الاردن، 2008، ص 24
[19]- المرجع نفسه، ص ص 31-32